الفصل الثالث

شرح حديث: { إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا } (١)

● في هذا الحديث: دلالة واضحة على صدق رسالة النَّبي محمد ﷺ وإرهاصاته، والتاريخ وسير أعلام العلماء النُّبلاء شاهدة على ما قدَّموه للإسلام والمسلمين مِنْ جهاد ودعوة، وعلم نافع، وتراث ضخم، وتواصل بالسند، وأمانة في نقل العلم الشرعي، وتوعية الأجيال جيلًا بعد جيل.

❁ ❁ ❁

● وكلمة «**يبعث**»: تدل على إحياء التراث الإسلامي مِنَ النسيان، وإيقاظ الأُمَّة من غفلتها، وتقوية الأمَّة المريضة، وإرشادها إلى علل أمراضها، وتقديم الدواء النافع لصحتها ومكانتها.

وليس البعث هنا هو إرسال رسول جديد بوحي، فهذا قد خُتِم ببعثة النَّبي ﷺ، وإنما يراد به بمواصلة طريق اتباع خاتم المرسلين؛ لأنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، وحملة مشاعل الهداية والعلم مِنْ بعدهم.

❁ ❁ ❁

● وتحديد مائة سَنَة دلالة على مدة الجيل تقريبًا، حيث إن أعمار الأمَّة مِنَ الستين إلى السبعين، وقد يستفيد به جيل سابق يتعايش معه وأجيال لاحقة، وفي خلال مائة سنة تكون العادات والتقاليد والأعراف والأفكار قد تغيَّرت إلى حدٍّ كبير.

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: «الملاحم» ب «ما يذكر في قرن المائة» ح: «٤٢٩١» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كما أن مائة سنة كفيلة بإيجاد جيل يجاهد ويكافح ويناضل مِنْ أجل هذا الدين، يلحقه جيل أقل منه همَّة في المحافظة على ثمرة الجيل الأول، ليأتي جيل بعده يقوده هؤلاء المجدِّدون، وذلك مِنْ سُنَّة الله ﷻ في ديمومة الجهاد والكفاح والعلم، وكما ورد في الحديث: { **لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ** }(١)، وقد بوَّب البخاري في كتاب الجهاد والسير بابًا بعنوان: (الجهاد ماضٍ مع البَرِّ والفاجر).

❁ ❁ ❁

● وكلمة «**الأمَّة**»: للدلالة على أنَّ وحدة هذه الأمَّة لن تكون صحيحة وسليمة ونراها على أرض الواقع إِلَّا إذا كان وراء ذلك مجدِّدون ربانيُّون مخلصون لها، حريصون على وحدتها واعتصامها بحبل الله ﷻ، ولا سبيل لذلك إِلَّا عن طريق الإسلام، وبالإسلام وحده، وبالعلماء الربانيِّين الذين يفهمون ذلك، عالِم ربَّانيٌّ مجاهد تلتف من حوله الأمة لتعيد مجدها وعزَّها من جديد.

❁ ❁ ❁

«**أمر دينها**»: وفي هذه العبارة دلالة واضحة على أنَّ أمور الدُّنيا لا تنصلح في ديار المسلمين، ولا تصلح مِنْ شأنها وهي بعيدة عن أمر الدين. فأي حضارة تقوم في بلاد المسلمين وهي منعزلة عن الدين، حضارة يبنيها الإنسان ويُدمِّرها بنفسه؛ لكن الحضارة التي تدوم هي التي تحترم الإسلام وتُقدِّسه، وللعلماء فيها قدر ومكانة، وكلمة مسموعة، وسأضرب مثالًا واضحًا:

افترضْ قيامَ حضارة على غرار الحضارة الأوروبية أو الأمريكية الحديثة في إحدىٰ بلاد المسلمين، وقام مع هذه الحضارة الحريَّة الجنسيَّة (كعمل قوم لوط)،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الجهاد والسير»، ب: «فضل الجهاد»، ح (٢٧٨٣)، ومسلم: ك: «الإمارة»، ب: «المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد»، ح «١٨٦٤» من حديث عائشة رضي الله عنها.

(وكَعَبَدة الشيطان)، (وحريَّة الخلان والخليلات وشُرب الخمور والمُسكرات)؛ وشاعت الفواحش والزِّنا والرِّبا؛ فهل تستمر هذه الحضارة؟! سوف يدمِّرها أبناء الشوارع واللُّقطاء وأولاد الزِّنا.

● **وما الذي يمنع عذاب الله ﷻ العام عنها** ؟.. كما وقع لقوم **لوط، وعاد، وثمود، وفرعون، وقارون،** وغيرهم. وما الفرق بيننا وبينهم حينئذٍ؟

أمَّا إذا قامت حضارة مصونة محاطة بتعاليم الدين مِنْ: تحريم الزِّنا وإشاعة الفواحش، وإقامة العدل، وتحقيق الأمن بتطبيق حدود الله ﷻ. ألا يكون ذلك أعظمَ حمايةً لهذه الحضارة، وأكبر ضمانًا لاستمرارها واستقرارها.

❁ ❁ ❁

● فهذا الحديث منهج متكامل، ورؤية واضحة لكل داعية إسلامي وعالمٍ ربَّانيٍّ يريد العمل على إحياء هذه الأمَّة، فهذا هو الطريق، وهذه هي البداية والانطلاقة.

إحياء الدين وتجديده في حياة الناس، وإقامة الحياة القيِّمة على هدي القرآن والسُّنَّة، وإحياء علومه التي انشغل الناس عنها بالماديَّة وشغل الحياة بالعودة إلى دروس العلم ومجالس الفقهاء والمحدثين، وحفظ القرآن الكريم والسُّنَّة ونشر علومهم.

وتجديده بعودة أحكامه وتشريعاته وحدوده وتطبيق شرعه، وتعظيم أمره وشعائره وحرماته، وهيمنته على سائر المعتقدات والأفكار والنظم والقوانين.

● إنَّ ذلك كله هو الطريق الأقوم، والسبيل الأيسر لصلاح الدُّنيا وتطويرها، والحماية من شرور الماديَّة والعلمانيَّة ومساوئ حضارة أصحابها فقد أعادوا للبشريَّة زمن الاستبداد والاستعباد بعد أنْ خلصهم الإسلام منهما.

❁ ❁ ❁

وقفـة

• العودة إلى الإسلام ضرورة حتميَّة، وواقع قدري.

وحاجتنا إليه مُلحةٌ لعلاج الخلل والسلبيات في النظم والسياسيات، والقوانين والأخلاق، والتي طالت حياتنا الاجتماعية والأسريَّة.

❁ ❁ ❁

قبع كثير مِنَ الناس تحت مظلة العبوديَّة للنظم والقوانين والأهواء والأوهام، ورضوا بالواقع، ولم يعملوا على التغيير والإصلاح، فانتشرت الأمراض النفسية والعصبية، وزاد القلق والتوتر واشتاق الناس إلى أمتع ما في الدُّنيا مِنْ «راحة البال - والأمن النفسي - والطمأنينة - والحياة الطيبة».

والعودة إلى الإسلام ونظامه الصحيح ومنهاجه القويم لبناء الأسرة المسلمة وإقامة المجتمع المسلم، هي معالم الطريق للاستقرار والتقدُّم والرخاء.

[نقلًا من كتاب القاموس الممتع للحياة الزوجية

للمؤلف (غفر الله له ولوالديه وللمسلمين)]

❁ ❁ ❁